الباب الرابع

من أبواب هذا الكتاب

في بيان الفِرَقِ التي انتسبت إلى الإسلام وليست منه

الكلام في هذا الباب يدور على اختلاف المتكلمين فيمن يعدُّ من أمة الإسلام وملته، وقد ذكرنا قبل هذا أن بعض الناس زعم أن اسم ملة الإسلام واقع على كل مُقِر بنبوة محمد ﷺ، وأن كل ما جاء به حق، كائنًا قوله بعد ذلك ما كان. وهذا اختيار الكعبي[1] في مقالاته.

وزعمت الكرامية أن اسم أمة الإسلام واقع على كل من قال: «لا إلهَ إلا الله محمد رسول الله»، سواء أخلص في ذلك أو اعتقد خلافه.

وهذان الفريقان يلزمهما إدخال العيسوية من اليهودية[2] والموشكانية ومنهم في ملة الإسلام؛ لأنهم يقولون: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، ويزعمون أن محمدًا كان مبعوثًا إلى العرب، وقد أقرُّوا بأن ما جاء به حق.

وقال بعض الفقهاء أهل الحديث: «اسم أمة الإسلام واقع على كل من اعتقد وجوب الصلوات الخمس إلى الكعبة».

وهذا غير صحيح؛ لأن أكثر المرتدِّينَ الذين ارتدوا بإسقاط الزكاة في عهد الصحابة كانوا يَرَوْنَ وجوب الصلاة إلى الكعبة، وإنما ارتدوا بإسقاط وجوب الزكاة، وهم المرتدون من بني كندة وتميم فأما المرتدون من بني حنيفة وبنى أسد فإنهم كفروا من وجهين، أحدهما: إسقاط وجوب الزكاة، والثاني: دعواهم نبوة مُسَيْلمة[4]، وطُلَيْح[5]، وأسقط بنو حنيفة وجوب صلاة الصبح، وصلاة المغرب، فازدادوا كفرًا على كفر.

والصحيح عندنا أن اسم ملة الإسلام واقع على كل من أقر بحدوث العالم، وتوحيد صانعه، وقِدَمِه، وأنه عادل حكيم، مع نفي التشبيه والتعطيل عنه، وأقر مع ذلك بنبوة جميع أنبيائه، وبصحة

---

(1) تقدم التعريف به وبفرقته.

(2) (3) العيسوية نسبة إلى أبي عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني، والموشكانية نسبة إلى موشكان. سبق التعريف بهما في مطلع الكتاب.

(4)، (5) سبق التعريف بهما.

نبوة محمد ﷺ ورسالته إلى الكافة، وبتأبيد شريعته، وبأن كل ما جاء به حق، وبأن القرآن مَنْبَع أحكام شريعته، وبوجوب الصلوات الخمس إلى الكعبة، وبوجوب الزكاة، وصوْم رمضان، وحَجّ البيت على الجملة.

فكل من أقر بذلك فهو داخل في أهل ملة الإسلام، وينظر فيه بعد ذلك: فإن لم يخلط إيمانه ببدعة شنعاء تؤدِّى إلى الكفر فهو الموحِّدُ السني، وإن ضم إلى ذلك بدعة شنعاء نُظر:

فإن كان على بدعة الباطنية، أو البيانية، أو المغيرية، أو المنصورية، أو الجناحية، أو السَّبَئِيّة، أو الخطّابية من الرافضة، أو كان على دين الحلولية، أو على دين أصحاب التناسخ، أو على دين الميمونية أو اليزيدية من الخوارج، أو على دين الخابطية أو الحمارية من القدرية، أو كان ممن يحرم شيئا ممن نص القرآن على إباحته باسمه، أو أباح ما حرّم القرآن باسمه، فليس هو من جملة أمة الإسلام.

وإن كانت بدعته من جنس بدع الرافضة الزَّيْدية، أو الرافضة الإمامية، أو من جنس بدع أكثر الخوارج، أو من جنس بدع المعتزلة، أو من جنس بدع النَّجّارية، أو الجَهْمية، أو الضِّرارية، أو المجسِّمة من الأمة - كان من جملة أمة الإسلام في بعض الأحكام: وهو أن يدفن في مقابر المسلمين، ويُدْفَع إليه سَهْمُه من الغنيمة إن غَزَا مع المسلمين، ولا يمنع من دخول مساجد المسلمين ومن الصلاة فيها. ويخرج في بعض الأحكام عن حكم أمة الإسلام: وذلك أنه لا تجوز الصلاة عليه، ولا الصلاة خَلْفه، ولا تحلُّ ذبيحته، ولا تحل المرأة منهم للسني، ولا يصح نكاح السنية من أحد منهم.

والفرق المنتسبة إلى الإسلام في الظاهر مع خروجها عن جمل الأمة عشرون فرقة هذه ترجمتها:

سَبَئِيّة، وبيانية، وحربية، ومغيرية، ومنصورية، وجناحية، وخَطّابية، وغُرَابية، ومفوضية، وحلولية، وأصحاب التناسخ، وخابطية، وحمارية، ومُقَنّعية، ورزَامية، ويزيدية، وميمونية، وباطنية، وحَلّاجية، وعذافرية، وأصحاب إباحة، وربما انشعبت الفرقة الواحدة من هذه الفرق أصنافا كثيرة نذكرها على التفصيل في فصول مرتبة إن شاء الله عز وجل.

الفصل الأول

من فصول هذا الباب

في ذكر قول السَّبئيَّة وبيان خروجها عن ملة الإسلام

السبئيَّة أتباع عبد الله بن سَبَأ[1]، الذي غَلَا في علي رضي الله عنه، وزعم أنه كان نبيًّا، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله، ودعا إلى ذلك قومًا من غُوَاة الكوفة، ورُفِع خبرهم إلى عليّ رضي الله عنه فأمر بإحراق قوم منهم في حفرتين، حتى قال بعض الشعراء في ذلك:

لِـتَـرْمِ بـيَ الـحـوادثُ حيث شـاءَتْ ... إذَا لَـمْ تَـرْمِ بـي فـي الـحُـفْـرَتَـيْـن

ثم إن عليا رضي الله عنه خاف من إحراق الباقين منهم شماتَةَ أهل الشام، وخاف اختلاف أصحابه عليه، فنفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن.

فلما قُتل عليّ رضي الله عنه زعم ابنُ سَبَأ أن المقتول لم يكن عليا، وإنما كان شيطانا تصوَّر للناس في صورة علي، وأن عليا صعد إلى السماء كما صَعد إليها عيسى ابنُ مريم عليه السلام، وقال: «كما كذبت اليهودُ والنصارى في دعواها قتل عيسى كذلك كذبت النواصبُ والخوارجُ في دعواها قتل علي، وإنما رأت اليهود والنصارى شخصا مَصْلوبا شبهوه بعيسى، كذلك القائلون بقتل علي رأوا قتيلا يشبه عليها فظنوا أنه علي، وعليٌّ قد صعد إلى السماء، وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه»!

وزعم بعض السبئيَّة أن عليًّا في السحاب، وأن الرعد صَوْته، والبرق سوطه، ومن سمع من هؤلاء صوت الرعد قال: «عليك السلام يا أمير المؤمنين».

وقد روى عن عامر بن شراحيل الشعبي[2] أن ابن سبأ قيل له: أن عليًّا قد قتل، فقال: «إن جئتمونا بدماغه في صرة لم نصدق بموته، لا يموت حتى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها».

---

(1) عبد الله بن سَبَأ: (000 - نحو 40 هـ = 000 - نحو 660 م) أصله من اليمن، قيل: كان يهوديًّا وأظهر الإسلام، رحل إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة. ودخل دمشق في أيام عثمان بن عفان، فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر. ونفاه عليّ عندما قال بألوهيته إلى ساباط المدائن. وكان يقال له «ابن السوداء» لسواد أمه. البدء والتاريخ 5: 129ن ولسان الميزان 3: 289، وعقيدة الشيعة 58 و 59، وتهذيب ابن عساكر 7: 428.

(2) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي، أبو عمرو: (19 - 103هـ = 640 - 721م) راوية، من التابعين، فقيه، شاعر، من رجال الحديث الثقات اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم. واستقضاه عمر بن عبد العزيز، ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة. الوفيات 1: 244ن وتهذيب ابن عساكر 7: 138، وسمط اللآلئ 751.

وهذه الطائفة تزعم أن المهديَّ المنتَظَر إنما هو عليٌّ دون غيره، وفي هذه الطائفة قال إسحاقُ بن سُوَيْد العَدَوِيُّ قصيدةً برئ فيها من الخوارج، والروافض، والقَدَرية منها، هذه الأبيات:

بـرئْـتُ مـن الـخـوارج، لَـسْـتُ منهم ... مـن الـغَـزَّال مـنـهـم وابـن بَـابِ
ومـن قـوم إذا ذكَـرُوا عَـلِـيًّـا ... يَـرُدُّونَ الـسَّـلامَ عَـلَـى الـسَّـحَـابِ
ولـكـنـي أحِـبُّ بـكُـلِّ قَـلْـبـي ... وأعْـلَـمُ أنَّ ذَاكَ مِـنَ الـصَّـوَابِ
رَسُـولَ الـلـه وَالـصِّـدِّيـقَ حُـبًـا ... بِـه أرْجُـو غَـدا حُـسْـنَ الـثَّـوَابِ

وقد ذكر الشعبيُّ: أن عبد الله بن السَّوْدَاء[1]، وكان يعين السبئيّة على قولها، وكان ابن السوداء في الأصل يهوديًّا من أهل الحِيَرة، فأظهر الإسلام، وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سُوقٌ ورياسة؛ فذكر لهم أنه وَجَدَ في التوراة أن لكل نبي وصيًّا، وأن عليا رضي الله عنه وصيُّ محمدٍ ﷺ، وأنه خَيْرُ الأوصياء كما أن محمدًا خير الأنبياء؛ فلما سمع ذلك منه شيعة علي قالوا لعلي: «إنه من مُحِبِّيك»، فرفع عليٌّ قدره، وأجلسه تحت درجة منبره. ثم بلغه غُلُوُّه فيه، فهمَّ بقتله، فنهاه ابنُ عباس عن ذلك وقال له: «إن قتلته اختلف عليك أصحابكَ، وأنت عازم على العَوْد إلى قتال أهل الشام، وتحتاج إلى مداراة أصحابك»، فلما خشي من قتله ومن قتل ابن سبأ الفتنَةَ التي خافها ابنُ عباس نفاهما إلى المدائن، فافْتَتَنَ بهما الرعاع بعد قتل عليّ رضي الله عنه، وقال لهم ابن السوداء: «والله لينبعن لعلي في مسجد الكوفة عَيْنَان تفيض إحداهما عَسَلًا والأخرى سَمْنا، ويغترف منهما شيعته».

وقال المحققون من أهل السنة: إن ابن السوداء كان على هَوَى دين اليهود، وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته في عليّ وأولاده؛ لكي يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى في عيسى عليه السلام؛ فانتسب إلى الرافضة السَّبئيّة حين وَجَدَهم أعْرَقَ أهل الأهواءِ في الكفر، ودَلَّسَ ضلالَتهُ في تأويلاته.

قال عبد القاهر: كيف يكون من فِرقِ الإسلام قومٌ يزعمون أن عليا كان إلهًا أو نبيا؟ ولئن جاز إدخالُ هؤلاء في جملة فِرَق الإسلام جاز إدخال الذين ادعوا نبوة مُسَيلمة الكذاب في فرق الإسلام.

قلنا للسَّبئيّة: إن كان مقتول عبد الرحمن بن مُلْجَم شيطانا تصوَّر للناس في صورة عليّ فلم لعنتم ابن مُلْجَم؟ وهلا مَدَحْتُموه؛ فإنَّ قاتل الشيطانِ محمود على فعله غير مذموم به؟

وقلنا لهم: كيف تصحُّ دعواكم أن الرعد صوت علي والبرق سوطه، وقد كان صوتُ الرعد مسموعا، والبرق محسوسا في زمن الفلاسفة قبل زمان الإسلام؛ ولهذا ذكروا الرعد والبرق في كتبهم، واختلفوا في علتهما؟

ويقال لابن السوداء: ليس عَلِيٌّ عندك وعند الذين تميل إليهم من اليهود أعظم رتبة من موسى، وهارون، ويوشع بن نون، وقد صحَّ موتُ هؤلاء الثلاثة، ولم ينبع لهم في الأرض عسل ولا سمن سوى نبوع الماء العذب من الحجَرِ الصَّلْد لموسى وقومه في التِّيهِ[2]؟ فما الذي عَصَم عليًّا من الموت وقد مات ابنه الحسين وأصحابه بكربلاء عطشان ولم ينبع لهم ماء فضلا من عسل وسمن؟!

---

(1) عبد الله بن السوداء هذا - كما يفهم من السياق - غير عبد الله بن سبأ المعروف أيضًا بابن السوداء كما مر معنا قريبًا.
(2) التِّيهُ: المفازة لا علامة فيها يُهتدى بها. ويقال: أرض تيه: مَضلةٌ.